

التعليم العالي لدى الأقلية العربية في إسرائيل: نحو إقامة أول جامعة عربية في البلاد؟

يونس أبو الهيجاء

يدرس اللقب الثالث في كلية التربية بجامعة حيفا، محاضر في كلية سخينين لإعداد وتأهيل المعلمين ومرشد تربوي في مجال «تطوير القيادة التربوية»

مقدمة

نظريات متعددة ومتنوعة تبحث وتحلل قضية التعليم العالي في صفوف الأقليات في دول متعددة في العالم. الكثير من الأقليات في دول متعددة في العالم بشكل عام، والأقلية العربية الفلسطينية في إسرائيل بشكل خاص، تنظر إلى التعليم بشكل عام والتعليم العالي بشكل خاص كوسيلة مركزية لتطوير مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية داخل المجتمع. الأمر الذي يوضح السبب الرئيسي لمطالبة تلك الأقليات بإقامة مؤسسات خاصة بهم للتعليم العالي.

سأطرق في مقالي هذا إلى قضية التعليم العالي في صفوف الأقلية العربية الفلسطينية في إسرائيل بشكل عام ومطالبة تلك الأقلية بإقامة جامعة عربية أولى بشكل خاص. في المرحلة الأولى، سأقدم طرحاً نظرياً يتطرق إلى مجموعة من الأقليات الإثنية في دول متعددة في العالم نجحت في إقامة مؤسسات خاصة بها للتعليم العالي وتوضيح أثر تلك المؤسسات على مكانتها داخل الدولة. في المرحلة الثانية، سأطرق إلى قضية التعليم العالي لدى الأقلية العربية في إسرائيل موضحاً بذلك أثره على المستوى الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي. وفي المرحلة الثالثة والأخيرة، سأقوم بعرض مبادرات جماهيرية وغيرها لإقامة جامعة عربية في البلاد موضحاً بذلك العوامل التي عرقلت فكرة إقامة تلك الجامعة.

المقال المطروح يشير إلى أن المجتمع العربي الفلسطيني في إسرائيل يبدي اهتماماً كبيراً بقضية التعليم العالي بشكل عام

ومشروع إقامة جامعة عربية بشكل خاص، ويرى بهذا وسيلة مركزية للتحرر من سيطرة وهيمنة السلطة الإسرائيلية من جهة، والسعي نحو إحداث تغيير في موازين القوى بينه وبين مجموعة الأكثرية داخل الدولة من جهة أخرى.

طرح نظري

يعتبر التعليم بشكل عام والتعليم العالي بشكل خاص وسيلة مركزية لتصميم طابع المجتمع وتحديد مستقبله الاقتصادي، وكذلك أداة هامة لتقليص الفجوة القائمة بين المجموعة المسيطرة والمهيمنة والمجموعات الأخرى الخاضعة لتلك المجموعة داخل المجتمع الواحد. وقد تحول التعليم العالي في السنوات الأخيرة إلى قضية ذات أهمية قصوى من وجهة نظر الأقليات المختلفة. بحيث تنظر تلك الأقليات إلى مؤسسات التعليم العالي كمتلكات خاصة تساهم في تعزيز قوتها ومكانتها داخل المجتمع. ولهذا، تسعى تلك الأقليات إلى إقامة مؤسسات خاصة بها للتعليم العالي.

ويشير الباحث أوستين (Austin, 1982) إلى أن التعليم العالي يقلص الفجوات بين الأقلية والأكثرية ويتيح الفرصة أمام أبناء الأقليات للتقدم في السلم الاجتماعي. ومن جانب آخر، يؤكد الباحث بيكر (Becker, 1975) على أن الأقليات تنظر إلى التعليم العالي كاستثمار هام في رأس المال البشري وهو جزء من الاستثمار والتفكير الاقتصادي الذي يعود على الأفراد بالفائدة المستقبلية.

المتحدة. العديد من الباحثين أشاروا في أبحاثهم إلى الدر الهام الذي لعبته الكليات والجامعات الأفرو-أمريكية في رفع المستوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لهذه المجموعة، مما قد يؤدي في نهاية المطاف إلى خلق وضع جديد يتمتعون فيه بحقوق متساوية مع البيض. أكثر من ذلك، يدعي هؤلاء الباحثين أن إقامة مؤسسات التعليم التي تعبر عن ميول وتطلعات الأقليات أتاحت نمو وبروز قيادات اجتماعية من المجموعات الأفرو-أمريكية.

كذلك الأمر بالنسبة للمجتمع الفلسطيني في الضفة الغربية وقطاع غزة، الذي هو مجتمع تحت الاستعمار أو الاحتلال الإسرائيلي ومتعلق به في مجالات عديدة. لقد استطاع المجتمع الفلسطيني إقامة مؤسسات للتعليم العالي بالرغم من كونه يزرع تحت الاحتلال الإسرائيلي منذ عشرات السنوات.

يبين أبو لغد (Abu-Lughod, 2000) أن مؤسسات التعليم العالي الفلسطينية التي أقيمت في الضفة الغربية وفي قطاع غزة في بداية السبعينيات، أقيمت في ظروف احتلال عسكري إسرائيلي من قبل مجموعات ومنظمات جماهيرية. ويدعي باحثون آخرون أن الهدف من إقامة هذه المؤسسات هو تطوير ودعم تقدم المجتمع الفلسطيني وخلق الهوية القومية للمجتمع الفلسطيني وربما توحده على فئاته المختلفة. إضافة إلى هذا فهم يعتقدون أن المؤسسات الفلسطينية للتعليم العالي نظر إليها وقوبلت كوسيلة للتحرك والتقدم الاجتماعي في المجتمع الفلسطيني. وتقول تراكي (Taraki, 1999) إن قسما من طلبة هذه المؤسسات تمكنوا من الوصول إلى مراكز قيادية في المنظمات الفلسطينية السياسية. وعليه، فإن هذه المؤسسات كانت عبارة عن أرض خصبة لتكوّن وتبلور وتطور حركات وطنية في المجتمع الفلسطيني.

على ضوء عرض ودراسة الأبحاث المختلفة تبرز حقيقة أن مجموعات الأقلية تنظر بأهمية كبيرة إلى موضوع التعليم بمؤسسات التعليم العالي وترى فيه وسيلة وأداة لتطوير مكانتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وكذلك وسيلة هامة للحفاظ على هويتهم الحضارية والقومية. وعليه، يمكننا الادعاء بأن الوضع في إسرائيل مشابه تقريبا للحالات التي ذكرت سابقا. هذا يعني أن الأقلية العربية تنظر بأهمية إلى موضوع التعليم بمؤسسات التعليم العالي وتنسب إليه أهمية بالغة وترى في إقامة جامعة عربية وسيلة لتطوير مركزها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، وكذلك وسيلة للحفاظ على الهوية الخاصة للمجتمع العربي وعلى قيمه وعاداته وتقاليده.

على ضوء ما ذكر أعلاه فإن الإطار الذي يتطرق إليه هذا المقال هو أن إقامة جامعة عربية في إسرائيل يشكل تحديا لحالة السيطرة السياسية والاقتصادية التي يتمتع بها المجتمع اليهودي

يطرح يوسا يونا فكرة مماثلة ويبرز أهمية التعليم لمجموعات الأقلية، التي ترى فيه أداة أو وسيلة لدعم وتقوية قوتهم السياسية والاقتصادية وكوسيلة للتحرك وللتقدم الاجتماعي (يونا، 1991: 126).

في هذا المجال يدعي باحثون آخرون (Archer, 1990; Apple, 1979) أن التعليم من وجهة نظر المجموعة المسيطرة يُفهم ويُنظر إليه كوسيلة للسيطرة السياسية والاجتماعية على مجموعات الأقليات في الدولة. وعليه، تتمسك المجموعة الحاكمة بالسيطرة المطلقة على جميع الخدمات التعليمية وتزويدها بهذه الخدمات، وهذا يعتبر عاملا وعنصرا لتأمين هذه الهيمنة أو العمل بحرية في هذا المجال. هذا التوجه من قبل المجموعة الحاكمة/ المسيطرة يُفهم ويُنظر إليه من قبل مجموعات الأقلية المختلفة في العالم، وأيضا الأقلية العربية الفلسطينية في إسرائيل، كرمز للنضال وللکفاح السياسي من أجل التحرر من السيطرة المهيمنة للمجموعة الحاكمة وإحداث تغيير في موازين القوى بينهم وبين مجموعة الأكثرية.

يتضح من الأبحاث المختلفة والمتعددة التي أجريت في هذا المجال أن مجموعات الأقلية في المجتمعات التعددية المختلفة في العالم قد نجحت في إقامة مؤسسات للتعليم العالي. وأدى هذا النجاح إلى رفع شأنهم ومركزهم الاجتماعي والاقتصادي والسياسي. كما أدى إلى المحافظة على هويتهم وقيمهم وتقاليدهم الحضارية. فعلى سبيل المثال تشير الأبحاث إلى أن مجموعة من الأقليات الأصلية في كندا وفي الولايات المتحدة أقامت كليات وجامعات مثل Tribal Colleges التي تمثل قبيلة من قبائل سكان البلاد الأصليين (American Indian Higher Education Consortium, 1998).

باحثون آخرون (Merisotis & Obrien, 1998; Justiz et al., 1994; LeMelle, 2002) يدعون أن المؤسسات الخاصة للتعليم العالي عززت كثيرا من قوة تلك المجموعات العرقية وسهلت لها الوصول لاكتساب الثقافة والتعلم في تلك المؤسسات مع المحافظة على الهوية الثقافية لهذه المجموعات.

مريسوتيس واوبريان (Merisotis & Obrien, 1998) يشيران إلى أن المؤسسات الأكاديمية للبيض هي بمثابة أداة أو وسيلة بيد الاستعمار. من جهة معينة فلقد شجعت طلبة جامعة من القبائل الهندية الأصلية على التعلم في مؤسساتهم، ولكن من جهة ثانية تواجد هؤلاء الطلبة تحت ضغط وحث شديد لتجاهل وإهمال الحضارة الهندية، وكل هذا بهدف دمجهم في إطار الحضارة الغربية. نتيجة لهذا النهج ازدادت رغبة القبائل الهندية لإقامة كليات وجامعات خاصة بهم بهدف المحافظة على قيمهم وعاداتهم وتقاليدهم وهويتهم الثقافية. مثال آخر هو المجموعات الملقبة بالأفرو-أمريكية المتواجدة في الولايات



مؤسسات التعليم العالي أعاققت دراسة الفلسطينيين في إسرائيل وكذلك بسبب غياب جامعة عربية فلسطينية داخل إسرائيل. بعد أكثر من ستين عاما على قيام دولة إسرائيل، لم ينجح المجتمع الفلسطيني في إنشاء جامعة عربية فلسطينية. طالبت مبادرات جماهيرية عديدة بإقامة جامعة عربية فلسطينية في البلاد، إلا أن الفكرة المقترحة رُفضت كليا. يعود ذلك إلى مجموعة من العوامل التي أعاققت تحقيق هذا المشروع أهمها: رفض المؤسسة الإسرائيلية لمثل هذه الفكرة خشية تحوّل الجامعة العربية الفلسطينية إلى ساحة للنشاطات السياسية "المعادية للدولة" (أبو الهيجاء، 2005: 308).

المطالبة بإقامة جامعة عربية: الأطر الاجتماعية السياسية

بدأت المطالبة بإقامة جامعة عربية في إسرائيل تظهر ويصرّح عنها علنا كحاجة ملحة قبل أكثر من عشرين عاما (أبو الهيجاء، 2003؛ فرح، 1997؛ Al-Fajr, 1983). وظهرت مبادرات متعددة ومختلفة في هذا المجال في نهاية السبعينيات. وقد دأبت جميع الفئات التي طالبت ودعمت فكرة إقامة جامعة عربية على أن تبرز بشكل واضح الدور الحيوي والفعال لمشروع كهذا ودوره في تطوير مكانة المجتمع العربي واندماجه في المجتمع الإسرائيلي.

// المبادرة الأولى: 1978 - مبادرة جمعية "الصوت"

المبادرة الأولى من نوعها لإقامة جامعة عربية أولى في إسرائيل ظهرت سنة 1978 من قبل جمعية "الصوت". حيث قامت تلك الجمعية، بقيادة مجموعة من الأكاديميين والمثقفين العرب ومن بينهم الدكتور إميل توما والدكتور جورج قنازع وآخرون، قامت بتنفيذ استفتاء يهدف إلى فحص ضرورة إقامة جامعة عربية في البلاد (أبو الهيجاء، 2003: 45-46). وقد أشارت نتائج الاستفتاء إلى وجود التفاف واسع جدا حول فكرة إقامة جامعة عربية. وعلى ضوء هذه النتائج، تم إقامة لجنة متابعة لإقامة الجامعة. وفيما بعد، تم اختيار مجلس أمناء يمثل دوره في الحصول على اعتراف حكومي. كما أقيمت لجنة مهنية تمثل دورها في بناء وتصميم البنية المهنية للمجالات التي سيتم تعليمها في الجامعة وكذلك اختيار المضامين التعليمية المناسبة لمجالات التعليم المختلفة.

بالرغم من ذلك، يشير أبو الهيجاء (2003: 46) إلى أن الفكرة لم تخرج إلى حيز التنفيذ وتم الإقرار بإيقافها وذلك نتيجة لعدم نضوج وعي الجمهور العربي لمثل هذا المشروع.

// المبادرة الثانية: 1980 - مبادرة لجنة الاكاديميين العرب

بكل ما يتعلق بتزويد الخدمات للتعليم العالي. ويمكن القول أيضا إن قدرة مجموعات مختلفة في المجتمع العربي في إسرائيل على تشغيل وتفعيل جامعة عربية ينظر إليه كوسيلة هامة لإقامة علاقات متبادلة بين الأثريّة والأقلية ترتكز على المساواة. وبناءً عليه، فإن النضال والكفاح من أجل إقامة أو عدم إقامة جامعة عربية في إسرائيل ما هو إلا نضال وصراع له أبعاد واسعة ومتفرّعة في كل ما يتعلق بموازين القوى في البلاد، وخاصة في كل ما يتعلق بقدرة مجموعات مختلفة في المجتمع العربي على وضع النظام والمؤسسات التي تسيطر عليها الأثريّة اليهودية أمام تحديات جديدة.

التعليم العالي لدى الأقلية العربية الفلسطينية في إسرائيل

تنظر الأقلية العربية في إسرائيل إلى التعليم العالي بنظر مماثلة لنظرة الأقليات الإثنية التي ذكرت أعلاه من حيث أهميته وأبعاده المتعددة على مكانتهم داخل الدولة. ويدعي الباحث ماجد الحاج (1996: 178-179) أن الأقلية العربية ترى في مجال التعليم بشكل عام والتعليم العالي بشكل خاص ليس فقط عنصرا مهما وحيويا يمكن من خلاله إحداث تغييرات اجتماعية وحسب، بل وسيلة هامة وأساسية لدعم قوته وقوة تأثيره في الدولة أيضا. ويشير كل من سامي مرعي (1978) وإيلي ريخس (1989) إلى أن التعليم العالي شكل للفلسطينيين في إسرائيل رافعة اقتصادية ورتبة خصبة للحراك الاجتماعي من جهة، وساحة للنشاط الاجتماعي-السياسي من جهة أخرى.

ويضيف خليل نخلة (1979) أن التعليم العالي يشكل موردا قوميا تستطيع من خلاله الأقلية العربية تعزيز الهوية القومية والثقافة والتراث العربي من جهة، والحفاظ عليه من جهة أخرى.

إن ازدياد الوعي لأهمية التعليم عموما والتعليم العالي خصوصا في صفوف الأقلية العربية في إسرائيل والنظر إليه كأداة مركزية في عملية الحراك الاجتماعي، أدى إلى ازدياد أعداد الجامعيين العرب. أضف إلى ذلك أن مجموعة الجامعيين العرب أصبحوا يدمجون الغايات الشخصية من التعليم بتلك الجماعية بصفته (أي التعليم) وسيلة للتطور وفي سبيل الاندماج العملي الاقتصادي والسياسي والثقافي.

بالرغم من التحول الكمي في أعداد الطلاب العرب في الجامعات، ما زالت الفجوة كبيرة جدا بينهم وبين الطلاب اليهود. فتمثل الطلاب العرب في مؤسسات التعليم العالي مقارنة بالطلاب اليهود، ضئيل جدا. حيث يشير سامي مرعي (1978: 109) إلى أن نسبة التعليم العالي لدى الفلسطينيين في إسرائيل هي ثاني أدنى نسبة في العالم. وهو ما يشير إلى أن

عربية

في السنوات المذكورة أعلاه لم تبرز مبادرات جماهيرية أخرى لإقامة جامعة عربية. ويعود السبب، كما يشير كل من لنداو (1993: 61-62) وريخس (2002: 8)، إلى موقف حكومة إسرائيل والتي كان يرأسها حزب اليمين (حزب "الليكود") الراض لأى محاولة لإقامة مؤسسات قومية في صفوف الأقلية العربية الفلسطينية في إسرائيل. وعلى ضوء ذلك، يمكن القول إن موقف حكومة إسرائيل تجاه إقامة جامعة عربية شكّل العائق الرئيسي أمام تحقيق مثل هذه الفكرة.

إن رفض حكومة إسرائيل لفكرة إقامة مؤسسات قومية في صفوف الأقلية العربية يدلّ، في اعتقادي، على خشية وقلق هذه الحكومة من هذا النوع من المؤسسات التي من الممكن أن تلعب دورا مركزيا في تعزيز الوعي الوطني لدى أبناء الأقلية وبالتالي من الممكن أن تعزز سياسة معارضة لسياسة الحكومة تجاه الأقلية العربية.

بالرغم من غياب مبادرات جماهيرية عربية لإقامة جامعة عربية واستمرار سياسة الرفض لهذا المشروع، حرصت الأحزاب السياسية العربية وخاصة الحزب الشيوعي الإسرائيلي والجهة الديمقراطية للسلام والمساواة2 ولاحقا حزب التجمع الوطني الديمقراطي3، على إبراز مطالبهم بإقامة جامعة عربية في الناصرة وذلك من خلال برامجها السياسية-الحزبية.

// 1994 - 2003: مبادرة بلدية الناصرة لإقامة أول كلية أكاديمية عربية في البلاد

نتيجة لتبادل الحكم وتولي حزب "العمل" مقاليد السلطة سنة 1992، ظهرت مبادرة بلدية الناصرة بإقامة أول كلية أكاديمية عربية في البلاد (أبو الهيجاء، 2003: 51). وتعتبر تلك المبادرة مغايرة عن المبادرات السابقة كونها تطالب بإقامة كلية أكاديمية عربية وليست جامعة عربية. ونجم هذا التغيير في الخطاب حول إقامة جامعة عربية واستبداله بخطاب من نوع آخر (مطالبة بإقامة كلية أكاديمية عربية)، حسب اعتقادي، عن رفض المؤسسة الإسرائيلية المتواصل للفكرة المطروحة. ويكمن الهدف وراء إقامة كلية أكاديمية، برأيي، في الحصول على مصادقة وشرعية للكلية المقترحة ومن ثم تطويرها إلى جامعة عربية في المستقبل.

ويشير أبو الهيجاء (2003: 55) إلى أن الحكومة الإسرائيلية برئاسة حزب "العمل" ووزارة التربية والتعليم برئاسة البروفيسور

في سنة 1980 ظهرت فكرة إقامة جامعة عربية مجددا من قبل مجموعة من الأكاديميين العرب ومن بينهم الدكتور إميل توما والدكتور جورج قناز والدكتور سامي مرعي وآخرون. ويشير فرح (1997) بأن اللجنة أصدرت قرارا ينصّ على أن الجامعة المقترحة لن تكون تحت رعاية جامعة إسرائيلية أو جامعة عربية أو أي جامعة من نوع آخر، بل ستكون جامعة مستقلة دون علاقة بأي حزب سياسي أو طائفة معينة. ويشير أبو الهيجاء (2003: 47) إلى أن اللجنة توصلت إلى اتفاق يدور حول أهمية الجامعة وموقعها في الجليل، كحق شرعي للأقلية العربية كأقلية قومية. بالإضافة إلى ذلك، أشار أعضاء اللجنة إلى أن إقامة جامعة عربية ستحقق أهداف عدة منها: تنمية وتطوير الثقافة العربية الفلسطينية، منح فرصة لتعلم الأدب والتاريخ العربي، وكذلك، تصميم برامج تعليمية ومناهج باللغة العربية. وعلى الرغم من كل تلك الجهود، رفضت لجنة المعارف التابعة للكنيست برئاسة النائبة أورا نمير الفكرة المقترحة، ونتيجة لذلك تم إيقاف المشروع.

// المبادرة الثالثة: 1981 - مبادرة لجنة تطوير التربية والتعليم في المجتمع العربي في إسرائيل

في سنة 1981 بدأت اللجنة بتهيئة خطة لتأسيس وإقامة مراكز أبحاث، كمشروع يهدف إلى تعزيز إمكانية إقامة جامعة عربية في المستقبل (أبو الهيجاء، 2003: 48). وقد تكونت هذه اللجنة من مجموعة من الأكاديميين العرب يرأسها الدكتور والكيميائي عبد السلام عبد الغني1 حيث قام بتقديم مجموعة من مواضيع التعليم ضمن برنامج الجامعة المقترحة، كما قدم قائمة من المحاضرين (أصحاب ألقاب ماجستير ودكتوراه) إلى مجلس التعليم العالي. ولكن مجلس التعليم العالي لم يصادق على طلب هذه اللجنة معللا هذا بأن لا حاجة لإقامة جامعة إضافية وأن مواضيع التعليم المقترحة متوفرة في الجامعات الإسرائيلية المختلفة (م.س: 49).

يمكن القول إن الرابط المشترك بين جميع المبادرات أعلاه التي بذلت جهودا من أجل إقامة جامعة عربية يتمثل في السعي للحصول على مصادقة مجلس التعليم العالي والذي يعتبر من العوامل الأكثر أهمية في منح الشرعية والاعتراف للجامعة المقترحة. ولكن بالرغم من تلك المبادرات الثلاث لإقامة جامعة عربية، لم تحظ الفكرة باهتمام المؤسسة الإسرائيلية بل ورفضها تماما.

// 1983 - 1993: غياب مبادرات جماهيرية لإقامة جامعة

1 محاضر في مجال الكيمياء في جامعة بير زيت، فلسطين.

2 <http://www.aljabha.org> تمنع في موقع الجبهة:

3 <http://www.balad.org> تمنع في موقع التجمع:

4 اقتراح عضو الكنيست عبد الوهاب دراوشة، اقتراح رقم 6049، بشأن: إقامة جامعة عربية في دولة إسرائيل، 17.12.1991
5 أنظر أيضا: اقتراح عضو الكنيست هاشم محاميد، اقتراح رقم 7784، بشأن: إقامة جامعة في الناصرة، 12.12.1995.



أمون روبنشتاين، قد دعموا الفكرة وتم إصدار قرار بتاريخ 14.6.1996 بإقامة الكلية المقترحة.

ولكن، نتيجة تبدل الحكم وتولي حزب اليمين رئاسة الحكومة في نهاية سنة 1996، رُفضت الفكرة المقترحة لإقامة كلية أكاديمية عربية في الناصرة (م.س: 56). بالرغم من ذلك واصلت بلدية الناصرة حتى سنة 2003 بذل جهود كبيرة مستعينة بالأحزاب السياسية بين الجماهير العربية، في سبيل تحقيق الفكرة المقترحة وإخراجها إلى حيز التنفيذ. إلا أن تلك الجهود والمحاولات العديدة لم تؤتي ثمارها المتوقعة وذلك نتيجة لسياسة الرفض المستمرة من قبل الحكومة اليمينية، فتم تجميد الفكرة.

منذ ذلك الحين حتى يومنا هذا، لم تظهر إي مبادرة أو مطالبة جماهيرية رسمية بإقامة جامعة عربية في البلاد وإنما بقيت تظهر الفكرة ضمن المقترحات السياسية للحركات والأحزاب السياسية المختلفة فقط، وربما يشكل افتتاح المؤسسة الأكاديمية- الناصرة هذا العام، بداية تطبيق هذا المشروع الكبير.

موقف المؤسسة الإسرائيلية تجاه فكرة إقامة جامعة عربية

// الحكومة الإسرائيلية

تميّزت سياسة الحكومة دائما بمعارضة مستمرة وصارمة لفكرة إقامة جامعة عربية في البلاد. الحكومة ارتكزت في معارضتها بالأساس على ادعاءات متعلقة بالشؤون الأمنية - القومية، وبرز هذا في أقوال المستشرق يعقوب لاندان (1993: 61-62):

”التخوف السائد في أوساط عديدة هو أن جامعة كهذه ستحوّل إلى أرض خصبة للقومية المعارضة والمناوئة لإسرائيل، كما حدث في الجامعات في المناطق المحتلة“.

وأكد ريخيس (2002: 8) أن حكومات إسرائيل لا تنظر بعين الرضا إلى إقامة مؤسسات قومية تشمل مؤسسات للتعليم العالي للأقلية العربية في إسرائيل، وذلك بحجة التخوف من أن المطالب سيتحول مع مرور الزمن إلى مطالبة من قبل الأقلية العربية بحكم ذاتي بكل ما يتعلق بشؤون التربية والثقافة وحتى لحكم ذاتي على الأرض.

بناءً على ما ذكر أعلاه، يمكن القول إن معارضة الحكومة الإسرائيلية لإقامة جامعة عربية تشير إلى رغبتها باستمرار سيطرتها على الأقلية العربية وذلك من خلال السيطرة على عملية التربية والتعليم. وهو ما يعني أن الحكومة الإسرائيلية ترى في سيطرتها على عملية التربية والتعليم بمثابة أداة ووسيلة مركزية لضمان سيطرتها على الأقلية العربية من جهة، وعدم منح

الفرصة لتلك الأقلية للتحرر من القيود المفروضة عليها من جهة أخرى؛ الأمر الذي يؤكد بان الحكومة الإسرائيلية ترغب بان تبقى الأقلية العربية متعلقة بالخدمات التعليمية التي تقدمها لها الدولة وترفض أي فكرة لاستقلال هذه الأقلية من الناحية التربوية - التعليمية.

// مجلس التعليم العالي

مجلس التعليم العالي في البلاد هو المؤسسة الرسمية لشؤون التعليم العالي في البلاد. مهمته مراقبة التعليم العالي ومتابعة مناهج التعليم في المؤسسات المختلفة. هنالك جهات مختلفة تطرقت إلى موقف هذا المجلس في كل ما يتعلق بفكرة إقامة جامعة عربية وأسباب معارضته للفكرة.

كتبت صحيفة الفجر (Al-Fajr, 1983) أن هذا المجلس رفض الفكرة بادعاء أن عدد الجامعات في البلاد كاف، وعليه فلا توجد أي حاجة لإقامة جامعة أخرى.

وأضاف يوثيل در (24.7.1992) في أسبوعية “كل الشمال” المحلية التابعة لشبكة “يديعوت احرونوت” سببا آخر لمعارضة مجلس التعليم العالي:

”حسب ادعاء أعضاء المجلس، ليس هناك أي مبرر لإقامة جامعة عربية وذلك بسبب قلة المرشحين للتعليم وأيضاً بسبب الميزات الكبيرة الذي يتطلبه مشروع كهذا“.

لم يتطرق المجلس التعليم العالي إلى مسألة وحقيقة أن قلة عدد المرشحين للتعليم مصدره عدم وجود جامعة عربية في البلاد، وأن جامعة هذه ستمكن الكثير من الطلاب وتسهل عليهم القبول لمؤسسات التعليم العالي. هذا يعني انه بدل إيجاد حل لمشكلة طلاب الأقليات المرشحين للدراسة في مؤسسات التعليم العالي، تعتمد المجلس المسؤول عن التعليم العالي في البلاد تجاهل هذه المسألة وتجاهل أن معارضته تضخم وتزيد من حدة المشكلة من خلال معارضتها لإقامة جامعة عربية.

إن رفض مجلس التعليم العالي لفكرة جامعة عربية في إسرائيل يمكن اعتباره قراراً سياسياً وليس أكاديمياً. إذ أن هذه المؤسسة خاضعة للحكومة الإسرائيلية ومتأثرة بدرجة كبيرة بقراراتها وبالتالي فهي لا تملك الحرية والاستقلالية في اتخاذ القرارات. الأمر الذي يشير إلى أن طابع وهوية مجلس التعليم العالي وقراراته يصمّم ويبرمّج وفقاً لتطلعات الحكومة الإسرائيلية وأهدافها ومصالحها.

// الحلقة السياسية في الكنيست

وصل موضوع إقامة جامعة عربية إلى الكنيست أيضاً وطرح للبحث هناك عدة مرات، وغالبا ما جاء طرحه بمبادرة أعضاء الكنيست من الكتل البرلمانية التي تمثل الجماهير العربية، من

للطابع التعددي الثقافي، ولهذا لا يمكن تقبل تعريفها كدولة متعددة الثقافات. ومن جهة أخرى يُنظر إليها كدولة قومية عرقية تبرز ميزاتها كدولة يهودية وترفض رفضا قاطعا أي عنصر يشكل تهديدا لليهودية الدولة من قبل أي أقلية إثنية مغايرة أو مختلفة. إن الطرح الذي يتطرق إلى بناء الأمم كما كان وصف آيزنشتدت (1973) ومن قبله دويتش (1966)، يبرز عدم الاستقرار والثبات الداخلي والتوتر بين مجموعة الأكثرية ومجموعات الأقلية. هذا الواقع يصعب ويعرقل قيام وتكون أي إثراء حضاري متبادل بين مجموعة الأكثرية وأقليات قومية مختلفة. في إسرائيل يمكن ملاحظة التوتر الذي يخيم على العلاقات بين مجموعة الأكثرية وأقليات إثنية مختلفة، وخاصة الأقلية العربية.

تعريف دولة إسرائيل كدولة يهودية وديمقراطية يمكنها من استغلال هذا الوضع وإعطاء شرعية لدعم وزيادة قوتها بواسطة سيطرتها على أقليات إثنية مختلفة، من ضمنهم الأقلية العربية. هذا الوضع القائم في إسرائيل يصعب ويعرقل تكون مجتمع مدني تعددي يتمتع فيه الجميع بالمساواة، ويصعب ويعرقل أيضا قدرة تلك الأقليات على التأثير في مبنى المؤسسات المختلفة المسيطر عليها كليا من قبل مجموعة الأكثرية.

إن معارضة وعرقلة إقامة جامعة عربية في إسرائيل تعبران عن رغبة الأكثرية اليهودية في المحافظة على سيطرتها وهيمنتها على مبنى المؤسسات المختلفة بشكل عام وعلى جهاز التربية والتعليم ومؤسسات التعليم العالي والجامعات بشكل خاص. ويرى المفكر غور زئيف (1999: 13) في السيطرة والهيمنة على تزويد الخدمات لجهاز التربية والتعليم من قبل الأكثرية اليهودية بمثابة "تربية للتطبيع"، تهدف إلى تأمين السيطرة والهيمنة على مجموعات ثقافية أخرى تعيش في دولة إسرائيل. هذا يعني أن الدولة تسعى جاهدة إلى استغلال عملية التربية والتعليم كأداة ووسيلة لتهميش الهوية العربية وتكريس الهيمنة الثقافية للأغلبية.

في المقابل تنظر هذه الأقليات ومن ضمنها الأقلية العربية إلى موضوع التربية والتعليم كوسيلة لتطوير مكانتها في الدولة وكرمز للنضال السياسي للتحرر من سيطرة وهيمنة الأكثرية وكتبها لمطوحات الأقليات ومن ضمنها الأقلية العربية. لهذا السبب تطالب الأقليات، ومن ضمنها الأقلية العربية، بإقامة مؤسسات تربية وتعليم كبديل لجهاز التربية والتعليم القائم اليوم. هذا المطالب يُنظر إليه من قبل غور زئيف كتربية مضادة للتربية المهيمنة. هذا النوع من التربية لا ينفي ولا يرفض "التربية للتطبيع" ولكنه يمثل بديلا للتربية المهيمنة القائمة اليوم.

إن كفاح الأقلية العربية في إسرائيل من أجل إقامة جامعة عربية

خلال اقتراحات عديدة للبحث في جلسات الكنيست تتعلق بإقامة جامعة عربية في إسرائيل.

دراسة للملفات (بروتوكولات) الخاصة بجلسات الكنيست تبين أن هذه الاقتراحات سببت جدلا بين أعضاء الكنيست العرب واليهود، وخاصة أعضاء الكنيست من أحزاب اليمين المتطرف. إدعى أعضاء الكنيست الذين بادروا إلى تقديم فكرة أو اقتراح إقامة جامعة عربية أنه من الحق الشرعي للأقلية العربية إقامة جامعة عربية وأن لا مبرر لمعارضة إخراج هذه الفكرة إلى حيز التنفيذ. وقد دَعَموا مطلبهم هذا بادعاء أن وجود جامعة عربية سيسهل على العرب إتمام مسيرتهم العلمية في مؤسسات التعليم العالي، وهو ما سيكون خطوة هامة لتطور المجتمع العربي واندماجه في المجتمع الإسرائيلي. أما الآخرون الذين رفضوا ويرفضون هذه الفكرة فيدعون أن إقامة جامعة عربية ستؤثر سلبا على اندماج الأقلية العربية في المجتمع الإسرائيلي. ويتضح أيضا من دراسة هذه الملفات (البروتوكولات) أنه في نهاية البحث في الكنيست تقرّر تحويل الموضوع للدراسة والبحث إلى لجنة التعليم التابعة للكنيست (وهناك أهمل الموضوع ولم يعالج). وفعلا، تتضح من دراسة هذه الملفات (البروتوكولات) أن هذا الموضوع لم يُطرح للبحث أبدا. هذه الحقيقة تدل، من ضمن بقية الأمور، أن تأثير أعضاء الكنيست العرب ما زال قليلا ومحدودا جدا، وذلك بسبب رفض المؤسسة الدائم لهذه الفكرة، بالإضافة إلى أن عملهم ودورهم في هذا الموضوع كان وما زال هامشيا وتانويا.

إن رفض أعضاء الكنيست اليهود خصوصا والبرلمان الإسرائيلي عموما فكرة إقامة جامعة عربية في إسرائيل يشير إلى خوفهم وقلقهم من انفصال الأقلية العربية واستقلالها وبالتالي فقدان السيطرة عليها. الأمر الذي يطرح تساؤلات عديدة حول شرعية البرلمان الإسرائيلي وعمله وطابعه الديمقراطي في الدولة. يمكن القول إن البرلمان الإسرائيلي عموما وأعضاء الكنيست اليهود خصوصا يمثلون سياسة الحكومة الإسرائيلية وبالتالي لا يختلف موقفهم عن موقف الحكومة تجاه فكرة إقامة جامعة عربية.

خلاصة واستنتاجات

التوجه النظري المقترح لتحليل العلاقات المتبادلة بين الدولة والمجموعات المختلفة في المجتمع العربي التي تطالب بإقامة جامعة عربية في إسرائيل أضاف إمكانيات أخرى للنظر إلى هذه العلاقات من وجهات نظر إضافية.

دولة إسرائيل معرّفة من جهة كدولة يهودية وديمقراطية، أي أنها تعطي لمجموعة إثنية واحدة امتيازات في كل المجالات وتقضي الخصوصية الثقافية للمجموعات الأخرى وهذا مناقض



هذه الأقلية. هذا يعني منح الأقلية العربية شرعية إقامة مؤسسات خاصة بها للتعليم العالي من خلالها تستطيع هذه الأقلية ليس فقط المحافظة على ثقافتها بل تنميتها وتطويرها. إن إقامة أول جامعة عربية في إسرائيل لا يخدم مصلحة وتطلعات الأقلية العربية فحسب، بل يمكنها أن تخدم أيضا مصلحة وتطلعات دولة إسرائيل وذلك من خلال تعزيز التواصل بينها وبين الأقلية العربية وتعزيز الاندماج الاجتماعي والثقافي والسياسي لهذه الأقلية ضمن النسيج الثقافي العام الذي يحقق الطمأنينة والاستقرار الاجتماعي-السياسي داخل الدولة.

يعبر من جهة عن رغبة الأقلية العربية في إيجاد بدائل يمكن بواسطتها تحدي سيطرة وهيمنة المجتمع اليهودي (الأكثرية) على مراكز القوى السياسية والاقتصادية، وبواسطة هذا التحدي يمكن تطوير وتقوية مركز الأقلية العربية. ومن جهة أخرى ترى الأقلية العربية ترى في إقامة مؤسسة كهذه وسيلة للمحافظة على هويتها وتقاليدها الثقافية، وكوسيلة لتغيير موازين القوى القائمة بينها وبين الأكثرية اليهودية.

من الجدير ذكره أن الوضع القائم في إسرائيل من حيث مطالبة الأقلية العربية بإقامة مؤسسات خاصة بها للتعليم العالي، يشبه حالات وأوضاع أقليات أخرى في دول متعددة الثقافات طالبت بل ونجحت في إقامة مؤسسات للتعليم العالي خاصة بهم. فكما هو الحال في بعض الدول (الولايات المتحدة وكندا) إسرائيل أيضا معرّفة كدولة ديمقراطية، ولكن خلافا لهاتين الدولتين ودول أخرى فإن إسرائيل متعارف عليها كدولة إثنية تصبو وتطمح لتبلور لنفسها ميزة كدولة يهودية. هذه الحقيقة التي لا جدل عليها تصعب وتعرقل تطوّر علاقات وإثراء ثقافي متبادل بينها وبين أقليات إثنية أخرى، ومن ضمنها الأقلية العربية في إسرائيل.

بناء على ما ذكر أعلاه يمكننا القول إن دولة إسرائيل، التي تعرّف نفسها كدولة اثنية، تصبو وتطمح بشكل واضح وعلنا لخلق دولة يهودية ذات طابع خاص مع المحافظة على سيطرتها وهيمنتها الكاملة على مبنى المؤسسات المختلفة التي ترتكز عليها كدولة. هذه الحقيقة التي يجمع عليها معظم الباحثين تصعب وتعرقل وتحدّ من قدرة الأقلية العربية على وضع تحديات أمام هذا المبنى القائم في مجال المؤسسات المختلفة وخاصة مؤسسات التعليم العالي، وتحدّ من قدرتها على تغيير موازين القوى بينها كأقلية عربية وبين الأكثرية اليهودية. هذا يفسر ويوضح أيضا، من ضمن بقية الأمور، السبب الذي عرقل ومنع إقامة جامعة عربية في إسرائيل حتى اليوم، لأن إقامة جامعة كهذه تشكل خطرا وتهديدا من وجهة نظر الأكثرية اليهودية لسيطرتها ولهيمنتها المحكمة على مجريات الأمور عامة وعلى جهاز التربية والتعليم بمؤسسات التعليم العالي خاصة.

إن رفض الحكومة الإسرائيلية ومؤسساتها المختلفة لفكرة إقامة جامعة عربية، برأيي، يزيد من التوتر بينها وبين الأقلية العربية وبالتالي يعرقل إمكانية تعزيز التواصل والإثراء الثقافي بين الجانبين. تعريف دولة إسرائيل كدولة ديمقراطية يلزمها باحترام التعددية الثقافية وبالتالي يتوجب عليها منح الفرصة للأقلية العربية، كأقلية قومية، للحفاظ على ثقافتها وهويتها. بموجب ذلك، يترتب على دولة إسرائيل وحكومتها منح الأقلية العربية الشرعية لإقامة مؤسساتها الثقافية التي من شأنها أن ترعى ثقافة

Michael Apple, **Ideology and Curriculum**, New York: Routledge, 1990, p. 83-84.

Nakhleh K. (1979). **Nationalist Consciousness and University Education in Israel**. Michigan: The Association of Arab-American University Graduates.

Mar'i, S. **Arab Education in Israel**. Syracuse University Press: Syracuse, New York, 1978.

Shmuel Eisenstadt and Rokkah Stein, *Building States and Nations: models and data resources*, Vol. 124 Beverly Hills, Calif. Sage, 1973.

Thornal Oliver, Pauline Oliver, Constance Kolheim and Loraine Glenn, "Historical Black Colleges and Universities: Civilian and Military Leadership", 1996, *Education*, 117 (2): p. 202-212. Rushing Lawrence, "African American and Higher Education", *Encounter*, 2003,16 (1): p. 22-24.

Tilden LeMelle, "The HBCU: Yesterday, Today and Tomorrow", 2002, *Education*, 123 (1): 190-196.

ثبت المراجع:

أبو آلهیگ'ا، ی. (2003). **مכללה اکدمیت בעیر نצרת: חקר מקרה בהקמת מוסד להשכלה גבוהה על ידי רשות מקומית ערבית בישראל**. תל-אביב: אוניברסיטת תל-אביב, עבודת גמר במגמה למינהל ומנהיגות בחינוך.

אבו אלהיג'א, י. (2005). מדוע טרם הוקמה אוניברסיטה ערבית בישראל? בתוך: גור-זאב, א. (עורך). **קץ האקדמיה בישראל?** חיפה: אוניברסיטת חיפה, הפקולטה לחינוך.

אלחאג'י, מ'. (1996). **חינוך בקרב הערבים בישראל: שליטה ושינוי חברתי**, ירושלים: הוצאת מאגנס.

גור-זאב, א'. (1999). **פילוסופיה פוליטיקה וחינוך בישראל**, אוניברסיטת חיפה: זמורה ביתן.

דר, י. "המוסד להשכלה גבוהה מתנגד להקמת אוניברסיטה ערבית", עיתון כל הצפון, 24.7.1992.

יונה, י. (1991). "פלורליזם תרבותי לעומת אינטגרציה תרבותית והשלכותיהם על תחום החינוך", מגמות: כרך ל"ד, חוברת 1, עמ' 126.

לנדאו, י. (1993). **המיעוט הערבי בישראל (1967-1991)**, **היבטים פוליטיים**, עם עובד: מכון אשכול, האוניברסיטה העברית: 61-62.

פרח, ג'. (1997). "אוניברסיטה ערבית ללימוד ומחקר, ניסיון ומציאות", נייר עמדה, חיפה: העמותה להכון לימודי לתלמיד הערבי.

Al-Fajr, "Nazareth Education Society Sets Up Infrastructure for Arab University", February 4, 1983.

What "American Indian Higher Education Consortium http:// www.ahhec.org/. Makes Tribal Colleges Unique?", 1998, [ahhec.org/](http://www.ahhec.org/).

Austin, A.W. (1982). *Minorities in Higher Education*. San Francisco: Jossey-Bass.

Backer, G. (1975). *Human Capital*. New York: Columbia University Press.

Deborah Gerner and Philip Schrodt, "Into the New Millennium: Challenges Facing Palestinian Higher Education in the Twenty-First Century", 1999, *Arab Studies Quarterly*, 21 (4): p. 19-34.

Karl Duetch and William Foltz. **Nation Building**, New York: Atherton, 1966.

Elie Rekhess, "The Arab of Israel after Oslo: Localization of the National Struggle", 2002, *Israel Studies*, 7 (4): 1-44.

Elie Rekhess, "The Arab Nationalist Challenge to the Israel Communist 1970-1985", 1989, *Studies in Comparative Communism*, 4, xxii. Pp: 337-350.

Ibrahim Abu-Lughod, "Palestinian Higher Education: National Identity, Liberation and Globalization", 2000, *Boundary 2*, 27 (1): p. 75-95.

Jamie Merisotis and Colleen Obrien, *Minority-Serving Institutions: Distinct Purposes, Common Goals*, San Francisco: Jossey Bass, 1998.

Lisa Taraki, "Higher Education, Resistance, and State Building in Palestine", 1999, *International Higher Education*, 18: p. 18-19.

Manuel Justiz, Reginald Wilson and Lars Bjork, *Minorities in Higher Education*, Phoenix: Oryx Press, 1994.

Margaret Archer, **Social Origins of Educational System**, London: Sage Publication, 1979, p. 91-92.